كلمة المتولّي الشرعي للعتبة العباسيّة سماحة السيّد أحمد الصافي (دامت بركاته)

نُحييكم ابتداءً في هذه الأيام المباركة، ونسأل الله تعالى أنْ يوفقنا وإيّاكم لاستقبال شهر الله الأعظم شهر رمضان المبارك، وأنْ يتقبّله منا ومنكم، سائلين ثانيةً بحرمة ليلة النصف من شعبان أنْ يكحل أعيننا بالطلعة البهيّة لوليه صاحب الأمر والزمان.

بدءًا أيضا نشدُّ على أيد الأخوة في المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيّة، وجمعية العميد لهذه الباكورة الطيّبة في مسألة الحياة الطيّبة، وإنْ شاء الله تعالى يكون هذا المؤتمر نافعًا وواسعًا، وتُؤسس فيه وتؤصّل بعض القواعد المهمّة لإحياء هذه الحياة الطيّبة. لا يخفى على الأخوة الأعزّاء مسألة الحياة عمومًا، يعني ما دمنا في الدنيا نتكلّم عن الحياة الدنيا، وكيف يمكن أنْ تخلو من مشاكل، في الحقيقة هي لا تخلو من مشاكل جمّة، وهذه المشاكل تتفاوت سعةً وضيقًا وتعقيدًا، بحسب ما نبلغ نحن من رؤيا إزاء هذه الحياة. في بعض الحالات قد لا تستدعي المسألة منّا أنْ نتعب ونتشنّج فيها كثيرًا، ونحمل همها كثيرًا، لكنّنا قد لا نفهم طريقة حلّ هذه المشكلة، فتزداد تعقيدًا، كمن يرفع رجله من الوحل، ثمّ يضع الأخرى فيه، وهكذا الدوامة تستمر.

واليوم عندما تعاني الدنيا من هذه التعقيدات، فجزءٌ مهمٌّ منها، ولعلّه الجزء الأهم، هو ابتعادها عمّا بيّنه الله تعالى من نهجٍ يوضّح كيف نعيش في هذه الدنيا. فالذي خلقنا لم ينسَ حاشاه أنْ يعطينا رؤيةً عن كيفية العيش في هذه الدنيا بحسب ما قدر لله تعالى من أعمار، ثم ننتقل إلى عالمٍ آخر أبدي. في هذه الحقبة، حقبة الدنيا، قد لا نعلم ولا نفهم ما هي الأسس التي يمكن أنْ نعيشها حتى نتجنب أكبر خسارةٍ ممكنةٍ في مشوارنا الحياتي، الإنسان إذا كان لا يعرف فلا شكّ في أنّه سيكون في تيه، وفي ظلال، وإنْ خرج من مشكلةٍ دخل في أخرى، وهكذا ينهي عمره بالانتهاء من مشاكل والدخول في أخرى إلى أنْ يموت، أمّا الذي يفهم كيف نتعامل مع هذه الدنيا، ما هي القواعد العامة التي بيّنها الله تبارك وتعالى لنا كي نحيا فيها؟ مع أنّنا بشر وما يحتاجه البشر هو غريزة حب البقاء، وأيضًا غريزة حب الذات موجودة، وهنا جاء الشارع المقدّس وقنّنها، وفصّل الأمر، فهذا الشي يشبع حياتك، وذاك الشي ينظّم أفكارك، وهكذا.. وفق ما بيّنه الأنبياء

وجاء به القرآن، وبتطبيقه ستعيش حياةً طيّبة.

والطيّب مقابل الخبيث، والخبيث يشمل المادة، فلست أتحدث عن الهيأة فقط ، بل حتى مادة الخبيث مقززة، الشيء الخبيث مُنفّر لجميع الطبائع البشرية باختلاف الشرائع والأديان، فكل أفرادها تتنفّر من الشيء الخبيث. والقرآن الكريم استعمل هذا المصطلح، فشجرةٌ طيّبة تقابلها شجرةٌ خبيثة، الطيّب لا يتزّوج إلّا طيّبة، مقابل الخبيث ومشتقاته. الخُبث يُولّد حالةً من النفرة، فكيف إذا كانت الحياة كلّها توسم بأنّها حياةٌ خبيثة؟! وفي المقابل تكون الحياة حياةً طيّبة. الحياة الطيّبة لا تعني ألّا توجد مشاكل فيها، لكن هذه المشاكل كيف تواجه؟ طبعًا التنظيم الأسري كتنظيم مجتمعي قطعًا يحتاج منا إلى منهجية، وكمثال، أنا أؤمن أنّ الرسالة العملية هي منهج حياة كامل، أنا أؤمن به، لكن صياغة الرسالة العملية إلى منهج تحتاج إلى تعديل؟ إذا أردنا أنْ نتجاوز جوانب المسائل الفردية إلى قضايا الحياة العامة، فهي تحتاج إلى صياغة أيضًا، المادة باقية لا نمسها، لكن الصياغة تحتاج إلى تعديل.

عندنا كنز كبير جدًّا من المعارف التي تؤسّس للحياة طيّبة، أنا قرأتُ أولًا ملخصات بحوث المؤتمر بحمد لله تعالى، العنوانات جيدة، والمعنون إنْ شاء الله تعالى يكون أفضل، و تريد كلّها أنْ تصل بنا إلى الحياة الطيّبة، التي ينبغي أنْ يعيشها الإنسان من ولادته إلى مماته. إنّ لدينا موادّ جيدةً وجديرةً جدًّا بأنْ تكون منهجًا للحياة، نعم، ربما مازلنا نحتاج إلى الصياغات، ولعله مع الأخوة الأعزاء مؤسّسي هذا المؤتمر نستفيد من كلام الأئمّة ﷺ، فهم يقولون نحن نلقي الأصول وعليكم التفريع. قطعًا القضية غير خاصة بالفقه، بل هي عامة لجملة من الأشياء التي لا نعرفها؛ لأنّ كلامهم ﷺ بشؤون الحياة جميعها من الولادة إلى الممات، وجاء الأئمّة الأطهار ﷺ وبيّنوا كثيرًا من الأمور التي يحتاجها الإنسان حتى يعيش هذه الحياة الطيّبة، ولعلنا أخذنا مثالًا فيما سبق، ولا بأس بإعادته الآن بنحو لا نتجاوز فيه الوقت المحدد إن شاء الله.

كلكم ترون أنّنا في دعائنا نستقبل القبلة، ونوفر صفات وحالات الكمال للدعاء، كالوضوء والجلوس على السجادة واختيار الوقت المحبب لإجابة الدعاء، واختيار

المكان الذي يستجاب فيه الدعاء، ثمّ ندعو الله تعالى، وهذه من الحالات التي ندب إليها الشارع المقدس، ولا شك في أنّ هذه حالة ممتازة، إذ إنّ الله تبارك وتعالى لولا دعاؤنا لا يعبأ بنا، والله أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. في سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام هناك حالة ما وراء ذلك، حيث إنّ بعض المفاهيم أُدخلت في الدعاء نتيجة ظروف الآل، وهي غير خافيةٍ على حضراتكم، فالآل عليهم السلام لم يعيشوا الحياة العادية، وإنّما عاشوا حياةً فيها ضغط، لا أعبّر بأكثر من هذا التعبير، يعني فيها ضغط، لم يجدوا فسحة ليعبّروا عن كلّ ما جاءت به السُنّة المطهّرة على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله، ليس معلومًا الألف باب التي أعطاها النبيّ لأمير المؤمنين عليه السلام، وكلّ بابٍ يُفتح منه ألف باب، ليس معلومًا أنّها ظهرت إلى الناس، فهي عند الإمام عليه السلام موجودة، لكنْ هل ظهرت إلى الناس جميعًا، وليس معلومًا ذلك، فإنّ هناك بعض الروايات ما زالت مرهونةً عند صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

لكن الأئمّة طرحوا بعض المفاهيم من خلال الدعاء، وهذه صياغةٌ خاصةٌ بهم، يعني غير حالة الوقوف بين يدي الله تعالى وطلب الرحمة والاستزادة، غير هذا طرحوا مفاهيم كبيرةً لتقويمنا وأيضًا للحفاظ علينا، ومن جملتها لعله أدعية الإمام السجاد عليه السلام، ففيها كنزٌ من المعارف الكبيرة جدًّا، واستنطاق هذه الكنوز يحتاج أنْ يكون من قبل المختصين، كي يؤسس لمنهج خاص في مقام التربية. دعاء مكارم الأخلاق من الأدعية الراقية جدًّا حتى إنّ كثيرًا من العلماء - أنا قرأت بعض إجازات العلماء - كانوا يوصون بدعاء مكارم الأخلاق ودعاء التوبة، للإمام السجاد عليه السلام، وبعضهم كان يوصي مثلًا بالاهتمام بنهج البلاغة. أمير المؤمنين عليه السلام أعطى قواعد كثيرة في قصار الحكام، مثلًا رواية تصدر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام مضمونها أنّ الناس مجبولةٌ على محبّة من أحسن إليها، هذا مضمون الرواية وليس نصّها، لاحظوا هذا مفهومٌ راقٍ جدًّا لا يتكلم عن الإحسان القربيّ إلى الله تعالى، بل يتكلّم عن الطرف الآخر، أي إنّ الناس تحبّ من أحسن إليها. النبيّ يوسف عليه السلام كان في السجن ويقول له من معه: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فإذًا الإحسان إلى الآخرين يُولّد حالةً من المحبّة. علم النفس الآن عندما يدرس عملية التواصل مع الآخرين،

يطرح مفاهيم متعددة لغرض التواصل، كيف تكسب الاحترام؟ كيف تكسب المحبّة؟ تأتي كلمةٌ مختصرةٌ من أئمتنا ﷺ تقول هذا المقدار اهتموا به، تريدون أنْ تحصلوا على المحبّة أحسنوا إلى الناس، ولاحظوا ما فائدة التجمّع في التواصل العائلي، وفي التواصل الأقربائي، وفي التواصل الاجتماعي، بهذه الكلمة، كلمة الإحسان، أنّ الإنسان سيكون قطعةً من الإحسان، وهكذا.

ألّف ديل كارنيجي أحد علماء الغرب في الأربعينات أو الخمسينات من القرن الماضي كتابًا اسمه (كيف تكسب الأصدقاء؟)، وهو كتاب ذو عنوان شيّق، خصوصًا للشابّ في بداية مراهقته، فالشابّ يحبّ أن يتعلّم هذه الأمور، فهو وضع خطوطًا عريضةً عن كيفية كسب الأصدقاء، وطرح مباني يرى أنّها فعلًا تؤدّي الغرض، قرأه أحد علمائنا وألّف كتابًا بالعنوان نفسه (كيف تكسب الأصدقاء؟)، لكن جعل المناط ليس ما قال هذا العالم الغربيّ، وإنّما المناط ما جادت به روايات أهل البيت ﷺ بحيث دخلت هذه المسألة حتّى في تفاصيل المناداة، هل من الأفضل أن تسمّي صاحبك باسمه تقول له (يا محمد)، أم تقول له (يا أبا فلان)؟ وقال إنّ الكنية بالنسبة للشخص أحبّ، فالشباب بينهم هذا يكنّي هذا، أوقع في قلبه وزيادة في المحبّة لهذه الدرجة، وتناول المصافحة وأثرها اجتماعيًا، وبدأ يؤسّس منهجًا من خلال هذه الروايات الشريفة، وهذا المنهج قد يتعارض مع ذلك المنهج، وهذا المنهج دائم.

الإنسان يحبّ نفسه سواء كان قبل ألف سنة أم الآن أم بعد ألف سنة، هو يحبّ نفسه، وإذا أحبّها، كما يختار الطيّب من الطعام أيضًا يختار لها الطيّب من الفكر، وبيّن أنّ هذه تصنع شخصيةً مهمّةً وتعزّز الثقة بالإنسان، وفعلًا الآن الشابّ عندما تكنّيه يشعر بالاحترام أكثر، يشعر بالرجولة أكثر، يشعر بأنّك تحبّه وتحترمه، بينما هو فعل وكلمة صغيرة. ذُكِر في الحديث أنّ (المؤمن هشّ بشّ)، وقد كان بعض الناس حين يزور عالِمًا، عندما يزوره لمرّةٍ واحدةٍ يتكلّم عنه ويقول هذا صديقي!! هو يذكر عن العالِم هذا صديقي!!، يسألونه كيف صديقك؟! قال: ابتسم في وجهي وسألني عن العائلة. هذا الأخ كان يتصوّر أنّ العالِم يعرفه، بينما هذا العالم سجيّته هكذا، وهذا بالنتيجة حقّق هذه

المحبّة التي لا تزال وتبقى منطبعة وبسهولة كصورةٍ جيّدة في ذهن هذا الشخص تجاهه.

أمامنا الوضع الاجتماعي، لاحظوا - والعياذ بالله - نسبة الطلاقات الهائلة! يعني المجتمع الآن يخرج بانفصالاتٍ أسرية؛ لأنّه لم يتحمّل أحد الزوجين الآخر في أشياء جدًا جدًا بسيطة، لا أسرة الزوج تفهم كيف تعالج الأمور، ولا أسرة الزوجة تفهم كيف تعالج الأمور، ويكون هؤلاء ضحية هذا الافتراق، حياتهم لا تتجاوز الأشهر أصلًا، لماذا؟ لأنّهم لم يتعلّموا كيفية أنْ تكون الحياة طيّبة، يتصوّرون هذا الموجود الآن في الدنيا على ضوضاء الأفكار وعلى تزاحم الثقافات، ليس عنده حالةٌ رصينةٌ يعرف كيف يواجه هذه المشاكل، فتحدث المشكلة. فلنأتِ إلى رأس المشكلة ونحلّها، هذه المسألة مهمّة أنْ نرجع بالأمور إلى لبّ المشكلة، أين لبّ المشكلة؟ وهذه الأمور الباقية هي النتاج للمشكلة الرئيسة، وليست المشكلة. الطبيب عندما يأتيه شخصٌ ويقول له ارتفعت درجة حرارتي، يحاول أنْ يصل إلى المشكلة، ليصف العلاج، فأين المشكلة؟ اقضِ على المشكلة، فينقضي هذا الأثر، المؤثّر على هذه الضوضاء.

كثير من هؤلاء الناس انسلخوا حقيقة من الدين؛ لأنّ لديهم مشكلات تحتاج حلًّا، والمشكلات طُرحت لهم بغير منهج الدين، فلم تُحلّ، أو الناس تشدّدوا بالدين بطريقةٍ لا يرضى بها الله ورسوله، فنفّروا الآخرين من الدين، فأصبح الدين ضحيةً بين منسلِخٍ عنه ومتشَدِّدٍ فيه. أمّا الجادّة الوسطى، والطريقة الوسطى، فقليلٌ من يمارسها، وهذا القليل صوته أيضًا واطئ، الصوت النشاز الآن لمن انسلخَ عن الدين ولمن تشدّد في الدين، أمّا الحالة الوسطى التي هي تريح الإنسان، وتعلّمه وتحلّ مشاكله، تهدّئ من هذه الضوضاء، وتجعل الإنسان أفكاره منظّمة، وطريقته منظّمة.

ولذا نريد أن نؤسّس في هذا المؤتمر المبارك إنْ شاء الله تعالى بجهد جميع الباحثين لوضع الحلول، بعد أنْ نفهم أين المشكلة، حتى يُؤسَّسَ لهذه الحياة الطيّبة تأسيسٌ حقيقيّ، فيه قواعد عامة مَن شذّ عنها هو يتحمّل خروجه، ومَن التزم بها يُضمَن له أنْ يعيش حياةً طيّبة، حياةً ملؤها الأمل والاستقرار والطمأنية. ولا أقول لا توجد مشاكل، فالحياة مليئةٌ بالمشاكل، لكن أيضًا المشاكل تُحلّ بطريقةٍ عقلائيةٍ تربوية، وقد تصنع المشاكل للإنسان

حالةً من حالات التكامل عنده.

على العموم أترك البحث الآن للإخوة الأعزّاء فيما يجودون به علينا إنْ شاء الله من بحوثهم الطيّبة، أسأل الله تعالى دوام التوفيق للجميع، وأجدّد الشكر لكم أيّها الإخوة الحضور الكرام، وأيضًا للمركز الإسلامي ولجمعيّتنا العزيزة جمعية العميد، سائلًا الله تبارك وتعالى أنْ يوفّق الجميع، وأنْ يُحيينا ما دام في العمر بقيّةٌ حياةً طيّبة، بمحمّد وآله، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين.